

مكانة الولي عند مريديه

..... قد ذكرنا أنهم يُقصّرون الولي على النبي؛ بل وعلى الرسول! ويقولون: إن الولي يأخذ من اللّوح المحفوظ، يطلّ على الأسرار، يأخذ بدون واسطة مَلَك. أمّا الرسل والأنبياء فإنهم يُوحى إليهم، لا يطلّون على ما يطلّ عليه الأولياء! فلأجل ذلك وقعوا في هذا الشرك. يقول: وهو الذي يسمونه الفقير، والشيخ. وتسميه العامة: السيد. يعني: هذه تسمية معبوداتهم، ما سَمْوَه معبودا، ولا سَمْوَه رَبّا؛ وإنما سَمْوَه صاحب سر، أو سَمْوَه ولِيّا، أو سَمْوَه فقيرا، أو سَمْوَه شيخا، أو سيده. في الحقيقة: أنهم رفعوه إلى أن أُعْطُوه حَقّ الله - تعالى - الذي هو العبادة. نقول لهم: تأملوا كلمة "الإله"، انظروا إلى معناها! إن الله: هو الذي تأله القلوب، المستم تألهون هؤلاء السادة أو الأولياء؟ أليس قلوبكم تخضع لها، وتتواضع لها، وتذلل أمامها؟ ألسنت تخشعون عندها، وتخضعون؟ ألسنت تهطّعون عندها وتقعنون؟ ألسنت تعظمونها بتعظيم لا يصلح إلا لله؟ نعم، إنهم كذلك. إنهم إذا كانوا عند هؤلاء الأموات في قبورهم رأيتهم متواضعين، متذلّلين، مستكينين، مهطعين، مقنعين رءوسهم، ورأيتمهم مع ذلك قلوبهم حاضرة بين يَدَيِّ هذا السيد، أو هذا الولي، ورأيتمهم في وقوفهم أمامه أعظم من وقوفهم للصلوة؛ لا ترتجف أجسامهم، ولا تضطرّب جوارحهم، ولا ترتفع أبصارهم؛ بل رءوسهم مهطعة، رءوسهم خاشعة، خافضة مع أبصارهم. ماذا نسمي هذا؟ أليس هو التَّالِه؟ أليس هو التذلل؟ نعم، إنه تذلل. فإذا كان تذللاً فإنه تأله. فقل لهم: قد جعلتكم العبادة - التي هي اتخذتموه إليها، وصرفتم التَّالِه - الذي هو حق الله - لهذا الولي في زعّمكم، ورفعتموه فوق قدره، وجعلتم العبادة - التي هي حق الله تعالى - والتي لا تصلح إلا لله؛ جعلتموها لهذا المخلوق. ثم نقول لهم: إن هذا مخلوق.. أليس كان مدعوماً ثم وُجِدَ؟ أليس كان جنينا في بطن أمّه؟ أليس خلق من ماء مهين؟ أليس خرج من بطن أمّه طفلًا، ثم تربى رضيعاً، ثم طفلاً إلى أن بلغ، وإلى أن صار رجلاً؟ أليس يعتريه ما يعتري البشر؟ يعتريه أنه يحتاج إلى التَّحْلَيٰ؛ يدخل أماكن الخلاء، ويحتاج إلى الأكل والشرب، يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، وكذلك أيضاً، هل هو يدفع عن نفسه؟ لا يدفع عن نفسه الأمراض، تصيبه الأمراض، وتصيبه العاهات، وكذلك أيضاً يُحسُّ بالجوع، وبالظماء ولا يستغني عن الأكل والشراب، وكذلك أيضاً يطلب الرزق، يلتمس الكسب، كذلك في النهاية جاءه الموت، ما أَعْنَى عن نفسه، ولا دفع الموت؛ بل جاءه، وأتى غيره، فإذا كان كذلك: فكيف يُرفع قدره؟ ويسوّى برب الأرباب؟! وبعطي حق الله تعالى من هذا التذلل؟! ثم نقول لهم: أفعالكم هذه.. هيحقيقة العبادة؛ فإن العبادة هي: الذل، والخضوع. وهذا ذُلّ منكم وخضوع. فإن الصلاة: عبادة؛ لأن المصلي يذلّ فيها لربه، ويُخضع، وأنتم أمام هذا الميت، وأمام هذا القبر كذلك تتذلّلون له، وتخضعون، وتدعونه، فحينئذ أصبحتم قد جعلتموه مع الله إليها، ولا ينفعكم تغيير الاسم. تسميتهم له الفقير.. لأنهم يقولون: إنه يزهد في الدنيا، ويُؤثِّر الفقر، فإذا آثر وصف الفقر، ولم يلتمس الثروة والزيادة في المال، وصل إلى رتبة الولاية. تسميتهم له بالشيخ، يعني: أنه وصل إلى سِنّ الشيخوخة، التي يستحق أن يُحترم فيها، وأن يُقدَّس، وأن يرفع من شأنه، وأن يعلى مقامه. هذا السبب؛ وذلك لأنّه كلما طعن في السن فإن الشيخوخة تتأكد فيه؛ بينما إذا كان ممن يعتقدون فيهم الولاية والأهلية. تسميتهم له بالسيد يعني: أنه وصل إلى حالة السيادة والزعامة، والأمر والنهي، والتصرف، وما أشبه ذلك. يُخَلِّلُ إلَيْهِمْ أَنَّهُ يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُ يَعْطِيهِمْ، وَأَنَّهُ يَمْلِكُ مَا لَا يَمْلِكُ الْرَّبُّ، أَوْ أَيْةً مخلوق. أذكر في سنة من السنين، ونحن في عرفة من بي أحد الحاج من السودان وإذا هو يلجه بقوله: يا عبد القادر يا عبد القادر أعنانا، ارحمنا. يا عبد القادر يريد بذلك الجيلاني الذي يدعون: أنه هو الذي يهدى، استوقفته، وقلت له: أليس عبد القادر مخلوق؟ توقف قليلاً ثم قال: إنه لا ينزل قطرة ماء من السماء حتى يأذن فيها عبد القادر ! ولا ينبع حبة من بُرّ في بقعة من البقاع حتى يأذن فيها عبد القادر ولا يموت نفس، ولا تولد نفس إلا بإذن عبد القادر !!! سبحان الله! ومن يُدَبِّرُ الأمر قبل عبد القادر؟ أليس عبد القادر كان مدعوماً ثم وُجِدَ؟ من الذي يُدَبِّرُ الناس؟ ثم قلنا: مَنْ رَبُّ عبد القادر؟ مَنْ الذي خلق عبد القادر وأشياهه؟ فأَصْرَّ ذلك السوداني؛ وذلك لأنّ هذه عقيدة راسخة في قلوبهم، ولا يمكن أنه يَتَحَوَّلُ عنها، تلقوا ذلك عن أكبابهم، وادَّعُوا أن الولي يتصرف في الكون، وأنه لا يدخل البلاد، ولا يخرج منها شيء إلا بعد أن يأذن فيها ولهم، الذي يَدَعُونَ فيه هذه الولاية. فلو فكروا لعرفوا أن هؤلاء الأولياء - أنهم بشر - من جنس البشر، وأنهم وإن زُوِّجُوا عنهم تلك الحكايات؛ فإنها في الحقيقة مكذوبة، لا حقيقة لها.